

تاريخ النشر: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/04/23 تاريخ الاستلام: 2025/01/09



الحجاج بمخالفة مقتضى الظاهر في مستوى التوكيد، كتاب: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت أنموذجاً

✍ عمران بن محمد بن أحمد الأحمد
Smo55551@hotmail.com
جامعة القصيم / المملكة العربية السعودية

Arguments based on violating the apparent meaning (especially at the level of emphasis), as exemplified in Ahmad Zaki Safwat's "A Collection of Arabic Orations in the Golden Age of Arabic"

✍ OMRANE ben Mohamed ben Ahmed
EL-Ahmed
khattoufatima24@gmail.com
OASSIM UNIVERSITY- Saudi Arabia

ملخص البحث

يُعدّ الخروج عن مقتضى الظاهر مؤشراً مُعلناً عن القصدية، والغرضية، والمزية، التي من شأنها أن تدفع الدارس إلى تتبع مواطن مخالفة المقتضى الظاهر والبحث في كنهها والغرض من ورودها على هذا النحو بالذات. وما من شك في أن خروج الخطيب العربي الأصيل عن مقتضى الظاهر محملاً دوماً بمعنى إقناعي مقصود ومستهدف. ولتعدد مظاهر الخروج عن مقتضى الظاهر، فقد جاء هذا البحث مقتصرًا على دراسة المخالفة في مستوى التأكيد؛ بوصفه عدولاً إقناعياً لا يأبه به الكثير من الدارسين.

الكلمات المفتاحية: القصدية، الإقناع، العدول، المعنى الظاهر، المعنى الخفي

ABSTRACT:

Departing from the apparent meaning is a clear indicator of intentionality, purpose, and rhetorical excellence, which prompts scholars to explore instances of such departures and investigate their underlying meanings and intended purposes. Undoubtedly, the original Arab orator's deviation from the apparent meaning is always laden with a deliberate persuasive intent. Given the multifaceted nature of these deviations, this research is confined to the study of violations at the level of emphasis, as this persuasive shift is often overlooked by many scholars.

Keywords: Intentionality , Arguments, deviation, apparent meaning, underlying

1. مقدمة:

إذا كان من نافلة القول تقرير أن لكل مقام مقال، فإن ظاهر حال المتلقي يُعدُّ مظهرًا من مظاهر المقام التي ينبغي أن يتوافق معها المقال، وأي تجاوز أو مخالفة لظاهر حال المتلقي، إنما هو استجابة بيانية لاعتبارات إقناعية يمكن دراستها والوقوف عليها.

وعلى سبيل مخالفة الكلام لظاهر الحال، فإن المتكلم قد يعدل عن صياغة قوله بحسب حال المتلقي الظاهرة؛ فيؤكد ما لا يقتضي الظاهر توكيده أو يتغاضى عن تأكيد ما يقتضي الظاهر تأكيده⁽¹⁾؛ استجابةً لأمر اعتبارية تنزيلية يلحظها أو يُقدِّرها (المتكلم)، وذلك موطن دقيق من مواطن التفوق لا يُحسنه إلا أهل البلاغة وشدة البيان⁽²⁾.

وتُعدُّ المخالفة في مستوى التوكيد إحدى الركائز البلاغية الأساسية الأصيلة التي يظهر بها دور المتكلم والمتلقي في إنتاج الخطاب الحجاجي، حيث إن اعتبارات المخالفة المقصودة إنما ظهرت بفعل المتلقي ومن أجله، وبذلك فإنه يستحيل فكّ التباس الخطاب الإقناعي بمُلقيه ومتلقيه، الأمر الذي يشهد بسبق البلاغة العربية من حيث دراسة القول في ضوء أركان الاتصال الثلاثة: الرسالة، المرسل، المرسل إليه.

ولا يخطئ من يعتبر هذا النوع من الدراسة من صميم الدراسات التداولية، وذلك إذا ما عرفنا التداولية بأنها «العلم الذي يُعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص. ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال)، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)»⁽³⁾.

كما أنه لا يمكن تخطئة من يجزم بأن مثل هذا النوع من العدول يفوق قيمة أصل القول المعدول عنها؛ إذ «إنَّ التحول من المؤلف إلى غير المؤلف قد يقتضي إهمال (ظاهر الحال) التي يكون عليها المتلقي، ومن ثم يكون التعامل معه على (غير مقتضى الظاهر)، وهو تعامل أوغل من الأدبية من (مقتضى الظاهر)؛ نتيجة للفجوة التي تحدث بين الصياغة ومتلقيها، بحيث ترتد إلى المتكلم ومقاصده الواعية وما يفترضه في المتلقي من حالات اعتبارية بالفعل أو بالقوة. والتعامل مع هذا المستوى الاعتباري لغويًا نوع من (السحر) كما يقول السكاكي»⁽⁴⁾.

وهكذا، فإن «المتكلم المنشئ للكلام قد يعتمد في حالات كثيرة إلى كسر مثالية اللغة ويقوم بالتلاعب بشروط التخاطب وهندسة الكلام بما يوافق حاله فقط، دون مراعاة حال مخاطبه، وذلك محكوم بأغراض ومقاصد يصبو لبلوغها... إنَّ خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر هي صياغة واعية من المتكلم يقوم فيها بهتك أساسيات التخاطب والإخلال بشروط الحوار والتواصل المطلوبة»⁽⁵⁾؛ بهدف تحقيق غايات إقناعية مُعَيَّنة.

وفي حين أنَّ للكلام الخبري الموافق للمقتضى الظاهر وجوهًا ثلاثة: (ابتدائي، طلبى، إنكاري) كما يقرر السكاكي، وبما أنَّ الأصل في التأكيد أن يكون للمنكر أو المتردد، وأنَّ الخلو من التأكيد إنما هو لخلو ذهن المتلقي من التردد والإنكار، فإنَّ المخالفة في مستوى التوكيد تأتي على ثلاث منازل افتراضية يمكن فيما يلي استنباطها والوقوف عليها⁽⁶⁾:

2. المنزلة الافتراضية الأولى:

((أنَّ يُنْزَلَ المنكر منزلة غير المنكر، فلا يُعتدَّ بإنكاره ولا يُلتفت إليه، وذلك إذا كان لديه من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ما يكفي لإقناع أهل الفكر المنصفين الذين يَنْشُدون الحق))⁽⁷⁾.

ومن شواهد تلك المنزلة في المدونة، مفاخرة عطار (رضي الله عنه) بن حاجب بن زرارمة التميمي (رضي الله عنه) فيبين يدي رسول الله عليه صلوات الله، إذ يقول: ((الحمد لله الذي له علينا الفضل، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالًا عظامًا، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عددًا، وأيسره عدة))⁽⁸⁾.

إنَّ المنافرة أو المفاخرة ليست سوى مقام مخصوص يقتضي ظاهره التعبير على جهة مخصوصة؛ من حيث إنَّها (المفاخرة) ((كلمة في الأصل تطلق على فعل قولي أو نشاط قولي يستعمل في سياق اجتماعي مخصوص ويُقصد به إثبات التفوق))⁽⁹⁾، وكلَّ تجاوز من الخطيب العربي الأصل لخصوصية المفاخرة لابد أن يحمل في طياته معنى حجاجيًا يمكن الوقوف عليه.

وإنَّ تقرّر بما سبق ما يقتضيه ظاهر حال متلقي (المفاخرة) من الإثبات والتحقيق؛ لعدم مُصادقته ابتداءً، فإنَّنا نرى في هذا الشاهد أنَّ عطار فلم يعبأ بهذا المقتضى الظاهر؛ إذ أدجَّ قوله دون أيٍّ من المؤكّدات الموازية لما يستدعيه ظاهر حال متلقيه، وذلك إيهامًا منه بأنَّ الحقائق المفاخر بها من اليقين الظاهر الذي لا يستدعي أيّ دلائل أو مؤكّدات. إنَّ هذا السبيل من المخالفة ((نظيرٌ لتنزيل وجود الشيء منزلة عدمه بناء على وجود ما يزيله))⁽¹⁰⁾ من ((وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه))⁽¹¹⁾، بله منكرٍ.

ومن الشواهد، قول أبي بكر (رضي الله عنه) في خطبته يوم السقيفة يردُّ على من يرى أنَّ الأنصار أحقُّ بالخلافة بعد رسول الله من المهاجرين: ((أيُّها الناس: نحن المهاجرون، أوَّل الناس إسلامًا، وأكرمهم أحسابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم))⁽¹²⁾.

فلو كان جميع المقصودين مقرّين مؤمنين سلفًا بتلك المناقب لمَّا نشأ هذا الخلاف أصلًا، ولكنته (رضي الله عنه) تعمّد طرح تلك المناقب دون مؤكّدات؛ ليجعلها في مصافِّ ما يُجمع عليه من المسلمات والمشاركات، ذلك أنَّ في تأكيدها تضعيفٌ لها من جهة زعزعة ثقة المخاطب بها، ونقلٌ لها من حيِّز الإجماع والاتِّفاق إلى حيِّز الاختلاف والإنكار أو التردد.

وهكذا، فإنَّ الخطيب حين لا يراعي مقتضى الظاهر وينصرف عنه إلى ما يخالفه فيكسر مثالية عقد التخاطب المبني على التعاون بين طرفي الخطاب، إنما يُريد أن يُبَيِّن لقوله القبول والتصديق. ولفاعلية هذا الأسلوب في الإقناع فإنَّه استحقَّ أن يُعدَّ مبدأً أساساً من مبادئ الحجاج التي تقوم على خرق المعهود؛ لتحميل القول بمعاني ثانوية تعمل على استدراج المتلقي وسوقه إلى الإذعان دون إشعاره بالإلزام أو المواجهة أو العنف⁽¹³⁾.

ومن الشواهد أيضاً، أنَّ رستم (قائد جيش الفرس) أرسل⁽¹⁴⁾ إلى سعد بن أبي وقاص، أنْ ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا؛ فبعث إليه ربيعي بن عامر؛ فلمَّا انتهى إليه قال له الترجمان - واسمه (عبود) من أهل الحيرة - ما جاء بكم؟ قال [ربيعي]: الله ابتعثنا، والله جاء بنا، لنخرج من شاء من عبادة العباد، إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام⁽¹⁴⁾.

فلئن كان الخبر (الله ابتعثنا، والله جاء بنا) منكوراً في الأصل عند متلقيه (رستم)، فإنَّ الخطيب (رضي الله عنه) لم يغبأ بهذا الإنكار، إذ ساق قوله مجرداً من التوكيد والإثبات، وذلك لعدّة معاني إقناعية مقصودة يُمكن إجمالها فيما يلي: 1- أنَّ الخطيب ليس في حاجة إلى تصديق المتلقي، 2- أنَّ الخطيب يرفض إنكار المتلقي لعدم امتلاكه دليلاً على الإنكار، 3- أنَّ المتلقي لو رجع إلى نفسه واحتكم إلى معرفته فإنَّه سيجد لا محالة أنَّ ظهور العرب ونصرهم لم يكن من لدن أنفسهم، ذلك أنَّ العرب كما يعرف (رستم) كانوا متفرقين متناحرين مستضعفين، فلا بدَّ أن يكون وراء هذا النصر الساحق في هذا الوقت الوجيز تأييد ربّاني، ومعية إلهية، وحقّ ثابت لا يمكن أن يتنازلوا عنه⁽¹⁵⁾.

ويمكن القول بأنَّ هذا النوع من المخالفة ليس سوى نوع من القهر اللغوي السِّلبي الذي يتظاهر بالتخيير ويستبطن الإلزام والإكراه على قبول الحقيقة⁽¹⁶⁾؛ فمنذُ أن يتعرَّض المتلقي إلى تلك العملية التحويلية ويُفرغ من إنكاره، فإنَّه يكون محلاً لفرض وضعٍ جديدٍ يسهل فيه إبطال إنكاره ودحر تردّده. إنَّها مخالفة إقناعية يرمي بها الخطيب إلى أن يكون الكلام المجرد من الزيادات التوكيدية في ذاته كافياً لتغيير فعل المخاطب، فيتحوّل بكلّ سلمية من معارض مدافع إلى خاضع مستسلم، ويكون القول في ذاته فعلاً، لأنَّه أبطل فعلاً. ولتلك القيمة الكامنة فإنَّ هذا النمط من المخالفة الإقناعية يرتكز على ما يستبطنه القول من معاني ثانوية⁽¹⁷⁾.

ومن قبيل الشواهد السالفة، أنَّه لمَّا وفد أبو صخر الهذلي على عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) (كان عارفاً بهواه في بني أمية، فمنعه عطاءه، فقال: علامَ تمنعني حقاً لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولا أخرجت من طاعة يداً؟ قال: عليك بني أمية، فاطلب عندهم عطاءك، قال: إذن أجدهم سباطاً أكفهم⁽¹⁸⁾، سمحةً أنفسهم، بُدلاءً لأموالهم، وهّابين لمجتديهم، كريمةً أعرافهم، شريفةً أصولهم، زاكيةً فروعهم، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم وسبيهم، ليسوا إذا نُسبوا بأذنان ولا وشائظ⁽¹⁹⁾ ولا أتباع، ولا هم في قريش كفقعة القاع⁽²⁰⁾، لهم السؤدد في الجاهلية، والملك في الإسلام⁽²¹⁾).

فلم يكن لعبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) أن يظهر على خلافة بني أمية وهو يقر لهم بكل تلك الفضائل، ولكن الخطيب قد أتى بهذه الأخبار خالية من التأكيد؛ بقصد الدلالة على أنها من قبيل الحقائق المقررة والمسلمات البديهية التي لا تحتاج إلى تأكيد، ولكأن الخطيب بهذه المخالفة يقول في بني أمية ما يقر به ابن الزبير سلفاً، من المناقب الثابتة بالشواهد بحيث لا يتوقع التردد فيها فضلاً عن إنكارها⁽²²⁾.

إنّ مبدأ خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإنزال المنكر منزلة المصادق^{(إعلان عن تحطيم فكرة التلازم الخطابي بين المتكلم والمخاطب، وخروج متعمد عن مثالية العقد اللغوي. وهو مبدأ يتأسس وفق قانون أساسي وهو: الخرق، ولا شك أن الخرق سيمس المفاصل الأساسية للخطاب؛ بأن يتلاعب المتكلم بذهنية المخاطب أو أن يصوغ كلامه في مستوى البنية بما يخالف اعتقاده أو أن يمس من شرط النزاهة في الخطاب⁽²³⁾.}

3. المنزلة الافتراضية الثانية:

وحدّ هذه المنزلة «أن يُنزل خالي الذهن منزلة المتردد السائل الذي يطلب تأكيد الخبر له، وذلك إذا شعر من مقدّمات الكلام بما يُشير إلى مضمون الخبر، فاستشرفت نفسه وتطلّعت تطلّع المستغرب المتردد في قبول الخبر، أو الطالب لما يؤكّده له⁽²⁴⁾. ولا تستدعي هذه المنزلة القسم أو تعاضد المؤكّدات، وإنّما «تتطلب من المتكلم توكيد خبره توكيداً خفيفاً من شأنه أن يطمئن المخاطب ويبدد شكه⁽²⁵⁾.

وهكذا، فإنّ الملتزم لداعي التوكيد في هذه المنزلة يجده في أنّ «الجملة أو الجمل السابقة متضمنة إشارات أو إيماءات تثير في النفس المتلقية تساؤلاً فتسعفها الجملة الثانية بما يزيل التردد ويجيب عن هذا الهمس، فيدخل قدر من التوكيد في بناء العبارة ليواجه هذا التردد، ومن ذلك الجمل المؤكدة في الكلام الفصيح الواقعة عقب الأمر والنهي، أو الإرشاد والتوجيه⁽²⁶⁾ أو النداء.

ومما جاء في المدونة على هذا النحو من التأكيد المخالف لمقتضى الظاهر، قول الرسول عليه الصلاة والسلام في إحدى خطبه: «أيها الناس، إنّ لكم معالماً فانتهاوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهايةً فانتهاوا إلى نهايتكم؛ فإنّ العبد بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه⁽²⁷⁾.

فعلى الرغم من إيمان المتلقين برسالته وتصديقهم له وخلوّ أذهانهم -في الأصل- مما سوى ذلك، إلا أنّه عليه الصلاة والسلام قد أنزلهم منزلة المتردد المتسائل، ذلك أنّه لمّا ناداهم بأحد عوامل النداء المختصة بنداء البعيد أو النائم أو المستقل، والتي لا تخلو من معنى التعظيم وطلب الاجتهاد⁽²⁸⁾، قدر (عليهما السلام) استشكالهم النداء ب(أيها) على الرغم من محاذاتهم له، فبادرهم (عليهما السلام) بإجابته المؤكدة: (إنّ لكم معالماً فانتهاوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهايةً فانتهاوا إلى نهايتكم؛ فإنّ العبد بين مخافتين)؛ لتبوّأ تلك المعاني مكانها وتأخذ حقّها من اهتمامهم واجتهادهم.

إنَّ النفس حين تستشكل «تصير في حاجة إلى قدر من التوثيق، وإنَّ كان الحكم على وفق ظنها؛ لأنَّ ما تظنه وتميل إليه هي أيضًا في حاجة إلى توكيده»⁽²⁹⁾. ومتى وقَّرت تلك المعاني المؤكدة في نفوس المتلقين فإنه يحصل المقصود الحجاجي، من حيث اهتمامهم وامتنالهم ونهجم السبيل القويم. و«أنجح الحجاج ما وُفق في جعل حدَّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه»⁽³⁰⁾.

ومنه أنَّه «لَمَّا برز المسلمون إلى الروم في وقعة اليرموك سار أبو عبيدة في المسلمين ثم قال: يا عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، فإنَّ وعد الله حقٌّ، يا معشر المسلمين اصبروا، فإنَّ الصبر منجاةٌ من الكفر، ومرضاةٌ للرب، ومدحضةٌ للعار»⁽³¹⁾.

فالمخاطبون - في ظاهرهم - مسلمون منقادون لأمر الله بالجهاد، ولم يُرخصوا أنفسهم في سبيل الله لولا يقينهم بتلك المعاني، ولكنَّه (رضي الله عنه) لَمَّا أمرهم بنصر الله يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»⁽³²⁾.

وإذ استيقنا دور هذه المخالفة الحجاجية في شحن هذا القول القصير بالعديد من المعاني الحجاجية المؤثرة والدافعة، فإنَّنا نطمئن إلى أنَّ قيمة الإقناع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى التأثير في المتلقي وتحريكه واستثارته، وأيَّ خطيب لا ينجح في تحقيق هذه القيمة فإنَّه يحكم على حجاجه بالتعثر والقصور عن تحقيق القيمة من القول الإقناعي، لذا فإنَّ تحقيق هذه القيمة هو المقياس الذي ينبغي أن يُحتكم إليه ويستند إليه في التحليل الحجاجي للنص»⁽³³⁾.

وعلى هذا النحو من المخالفة سارت عكرشة بنت الأطرش في خطبتها بأصحاب علي رضي الله عنه يوم (صِفِّين): «اللَّهِ اللَّهُ عباد الله في دين الله، إياكم والتواكل فإنَّ ذلك ينقض عرا الإسلام، ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى»⁽³⁴⁾.

إنَّ التركيب النحوي المؤكَّد يقتضي وضعية تخاطبية ظاهرة التردد والتساؤل أو صريحة الإنكار، والمتلقي فيه هذه الخطبة لا يُعارض أو يتردّد في قبول حقيقة عاقبة أمر التواكل، غير أنَّ الخطبة حين منحت نفسها السِّلطة التي تخولها حقَّ التحذير قدَّرت استشكال المتلقين وتساؤلهم حيال صلاحية الخطيبة في استعمال هذا الأسلوب المتعالي، فأردفت بهذا التعليل المؤكَّد، لتقطع على المتلقين ما قد تذهب إليه نفوسهم من تسلُّطها وتعالها عليهم.

وإلى ما سبق فإنَّه يمكن تقدير تساؤل المتلقين واستشكالهم، وذلك حيال تخصيص فعل التواكل بالتحذير، وبه فإنَّ المخالفة بالعدول إلى التأكيد تكون مبرِّراً ومعلِّناً صريحاً يوقظ أذهان المتلقين إلى الواقع الأليم الذي سؤل إليه الدين في حال تواكلهم وتراخيمهم.

ومما جرى مجراه قولُ الحجاج، إذ خطب الناس يوماً فقال مما قال: «خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم، ومما في أيديكم لما بين أيديكم؛ فكأنَّ ما قد مضى من الدنيا لم يكن، وكأنَّ الأموات لم يكونوا أحياء، وكل ما تروونه فإنَّه ذاهب»⁽³⁵⁾.

فالذي يقتضيه ظاهر الحال أن لا تؤكد حقيقة الموت لأنها مما لا يشكّ فيها كلّ عاقل أيّا كان دينه ومذهبه، ولكنّ الحجاج إنّما عدل إلى مخالفة الظاهر بتأكيد حقيقة الموت؛ ليغوص في باطن المتلقين ويُحرّك دواخلهم ويوبّخهم، فهم لركونهم إلى الدنيا وميلهم لها، كأنّهم بلهاء متردّدون في حقيقة الموت غير موقنين به⁽³⁶⁾.

إنّ الخطاب الإقناعي لا ينفكّ يعبأ بالحالة الداخلية للمتلقى، حيث تخضع عملية إنتاج الخطاب الحجاجي لتلك الحالة، فيبدو النصّ الحجاجي الناجح متأثراً بنتيجة اختيار المتكلم المتأثرة برّد فعل المتلقى المقدّر، وهكذا فإنّ إنتاج النصّ الحجاجي لا يستقل به الملقى وحده وإنّما يشترك في إنتاجه طرفا التخاطب: الملقى والمتلقى⁽³⁷⁾.

وإلى كلّ ما مضى من معاني حجاجية انطوت عليها المخالفة في الأمثلة السالفة، فإنّ المتأمل يجد أنّ العادة جرت على ((أن تكون القضية المؤكّدة هي القضية الجديدة التي من شأنها أن تُردّ على صاحبها - أو تكون قد ردت عليه بعد - أمّا القضية المعلومة فلا تؤكّد، حتى إذا ما أُكدت وهي ليست مما قد يُردّ أو يُنكر كان والصبر قدّر ما يجول في خواطرهم من وساوس، نظير بروزهم لجيش الروم العتيد، فعمد إلى مخالفة الظاهر بعدوله إلى التوكيد ب(إنّ)؛ لثبّت بها نفوسهم وليقطع بها كل ما يمكن أن يسري إليها من وهن وتقهر، ذلك أنّ النفس متى وثقت بحسن المآل استخفّت وطأة الحال.

ولا خلاف في أنّ هذه المعاني الحجاجية غير ظاهرة في حال جريان القول على مقتضى الظاهر، وبذلك فإنّه يمكن القول بأنّ الخطيب الناجح هو الذي ينتج خطابه وفق حضور المتلقى في مخيلته ووفق حالته التي استشعرها واستشفها بخبرته في الإقناع، وذلك قبل توجيه الخطاب إليه، وفي حال أخطأ الخطيب في تقديره لحال متلقيه ومقامه فإنّه سيخطئ في تحقيق القيمة الإقناعية⁽³⁸⁾. وعلى حدّ ما نقله الجاحظ من قول بشر بن المعتمر، فإنّه ((ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى مسلك التوكيد غريباً على نحو ما؛ إذ يُطرح في هذه الحالة سؤالاً من نحو: لم أكُدت للمخاطب ما هو معلوم لديه معروف عنده؟ والجواب عن ذلك هو أنّ أصل الحجاج في ذلك: التوكيد؛ فقد يقدر زناد استنتاج المفهوم ويدفع إليه ويحمّل عليه، على أن يكون مدار هذا الاستنتاج على نظرية ما يصوغها المعنيّ بالخطاب انطلاقاً من المقال يتدبره في ضوء المقام⁽³⁹⁾.

4. المنزلة الافتراضية الثالثة:

وعلاوة هذه المنزلة ((أن يُنزّل من لا يُنكر ما سيقدم له من خبر منزلة من يُنكره، إذا ظهرت عليه بعض أمارات الإنكار في داخل نفسه⁽⁴⁰⁾). ولم تكن المدونة خلّوا من هذه المنزلة الافتراضية، إذ تكرّرت في عدة مواضع منها، نحو قول النبي عليه الصلاة والسلام في أوّل خطبة خطبها بالمدينة:

((أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم: تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لِيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبِّهِ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِبُهُ دُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولِي فَبَلَّغْتُكُمْ، وَأَتَيْتُكُمْ مَا لَا وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكُمْ، فَمَا قَدِمْتُ لِنَفْسِكُمْ؟ فَلْيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا، ثُمَّ لِيَنْظُرَنَّ قَدَامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَنِّهِمْ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ مِنْ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ: فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى رَسُولِهِ اللَّهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ))⁽⁴¹⁾.

فمع أنَّ متلقي هذه الخطبة متلقٍ مؤمنٌ غيرٌ منكِرٍ ولا مكذِبٍ، إلَّا أنَّه (عليه السلام) قد عزَّزَ قوله بمؤكِّدات توازي مقام الإنكار؛ وذلك تقدير لحال المتلقي ومراعاة لها تجاه هذا الخبر الغريب والطارئ، فمن عادة النفوس نفورها من الغريب وعدم تقبُّلها الطَّارِئ، وشأن النفوس مع ما حُجِبَ عنها من الغيبيَّات أكبر وأدعى إلى التأكيد.

وبما في هذه المخالفة للظاهر من مراعاة وتعمُّق في نفوس المتلقين، فقد جعل السكاكي هذا الأسلوب من قبيل السحر المهر، إذ يقول: ((وهذا النوع -أعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر- متى وقع عند النظَّار موقعه استهشَّ الأنفس وأنق الأسماع وهز القرائح ونشط الأذهان، ولأمر ما تجد أرباب البلاغة وفرسان الطراد في ميدانها الرامية في حلق البيان يستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم))⁽⁴²⁾.

ومن قبيله خطبته صلى الله عليه وسلم قبل لحوقه بالرفيق الأعلى، التي يقول فيها: ((إنَّه قد دنا مني خفوق⁽⁴³⁾ من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد⁽⁴⁴⁾ منه ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخش الشحناء من قبلي، فإنها ليست من شأني، أَلَا وَإِنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ مِنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، وَقَدْ أَرَى أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مَرَارًا))⁽⁴⁵⁾.

يخاطبُ النبيُّ عليه الصلاة والسلام صحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، ولكنَّه لمَّا قرأ في صفحات وجوههم أمارات الامتعاض وعدم التقبُّل، ضاعف الجملة بالمؤكدين (ألا وإنَّ)؛ ليقضي على ما لديهم من عدم تقبُّل بخصوص الاقتصاص منه عليه الصلاة والسلام فيتمَّ له مقصوده من الاستبراء لنفسه.

إنَّه ليمكننا القول بأنَّ ((مبدأ خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر تعمُّدٌ من صاحب القول أن يضع مخاطبه في مرتبة غير الذي هو فيها، وهي صنيعة يصبو من خلالها تحقيق جملة من الأغراض، فهو تمثِّل للمخاطب واستباق لحالته وما تختزن من ملابسات ليخرج له الكلام بما يتوافق ومقاصد المتكلم فحسب، وهو بهذا ينسج لخرقٍ واعٍ يصبو من خلاله تحقيق جملة من الأغراض))⁽⁴⁶⁾، كما رأينا.

ويكشف القول السالف عن مدى تجذُّر المتلقي في إنتاج الحجاج، فإنَّ كان الملقى هو المسؤول عن التأليف والتركيب فإنَّ المتلقي هو المعني بهذا التركيب المعين وتلك الصياغة المحددة، الأمر الذي يُعيدنا إلى القاعدة الأساس في دراسة أي نص تواصلٍ: مرسل، رسالة، مرسل إليه. وفي هذا السياق لا يخطئ من

يذهب إلى أنَّ لغة الحجاج ((تستجيب لغايات ثلاث. أولاهما: تعيين الوقائع. وثانيتهما التعبير عن حال المتكلم، وثالثتها تعديل حال المخاطب))⁽⁴⁷⁾.

ويلحق بما مضى من شواهد، ما ورد في آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز إذ يقول: ((ألا فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي، ألا وإني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال، فإن ضننت به عليكم إني إذن لضنين، والله لولا أن أنعش⁽⁴⁸⁾ سنة، أو أسير بحق، ما أحببت أن أعيش فو اقا⁽⁴⁹⁾)).⁽⁵⁰⁾

فالمتلقون في ظاهريهم لا ينكرون على الخطيب زهده وقد جربوه وعلموا منه ما علموا، ولكنَّه لبلاغته رضي الله عنه استشفَّ ما في نفوس متلقيه من عدم تقبُّل لتلك الحقيقة؛ من حيث أنَّ مقام الخلافة الأموي والتمسُّك به لا يتفق في ظاهره مع تلك الحقيقة، لذا فقد حَقَّق قوله بالقسم ردًّا على جميع مشاعر الرفض أو الإنكار الداخلية التي يُمكن أن تحوّل دون تصديق هذا الاعتراف الموثق بالقسم. وإلى ذلك فإنَّ هذا الاعتراف المؤكّد لا يخلو من معنى التعهد بفتح مجال محاسبة الخليفة ومعاتبته وذلك متى حاد عن ما أقسم عليه.

إنَّ تلك المعاني الإقناعية الناجمة عن التأكيد المخالف لظاهر المتلقي، تسوقنا إلى القول بأنَّه في حين أنَّ الأصل في الأقوال أن تكون جارية على سَنَنِ القواعد التخاطبية ((التي تضمن لكلِّ مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقة، إلا أنَّ المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنَّهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإنَّ الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية))⁽⁵¹⁾، وبذلك المعاني غير الصريحة فإنَّها تظهر حجاجية المخالفة، من حيث استفزاز المتلقي إلى مساءلة هذا القول وبحث مبررات التوكيد، وبقدر نجاح الخطيب في استثارة المتلقي وإقحامه وإشراكه في بحث علّة التوكيد ودواعيه يكون نجاحه في السيطرة على ذهن المتلقي وتحفيزه إلى الوصول إلى النتيجة المقصودة، وأكثر النتائج إلزامًا ما وصل إليها المتلقي بنفسه⁽⁵²⁾.

ويُعدُّ من شواهد، قول سليمان بن عبد الملك رضي الله عنه إذ خطب الناس فقال: ((الحمد لله، ألا إنَّ الدنيا دارُ غرورٍ، ومنزلٌ باطلٌ، تُضحك باكيًا، وتُبكي ضاحكًا، وتُخيف آمنًا، وتؤمن خائفًا، وتُفقر مثرًا، وتُثري مُفقيرًا⁽⁵³⁾، مِيَالُهُ غَرَارَةٌ، لَعَابُهُ بَاهِلُهُ))⁽⁵⁴⁾.

فالخطيب إنَّما يتوجَّه بخطابه إلى متلقين مُسلمين يدينون بأنَّ الدار الآخرة هي الحيوان، ولكنه لمَّا لمح فيهم الاستخفاف والغفلة، ورأى واقعهم يتنافى مع الحذر من الدنيا والاستعداد للآخرة، أنزلهم منزلة من يبالغ في الإنكار فعُدل إلى مخالفة الظاهر من خلال التأكيد بالمؤكّدين (ألا+إنَّ)؛ ليجبَ هذا التأكيد تماديهم في الغفلة وإعراضهم عن طلاب الآخرة.

وإذا ما ذهبنا إلى دراسة خصوصية المخالفة بالتأكيد بـ(ألا) و(إنَّ) في هذا المقام بالذات، فإنَّنا نجد أنَّ في (ألا) معنى الاستثارة والتنبيه من الغفلة، وهي معاني تتوافق مع يستبطنه المتلقين من الغفلة عن

الآخرة والاستئناس إلى الدنيا، كما أنَّ في استعمال (إنَّ) في غير موضعها معنى التهكم بكلِّ من يغترَّ بالدنيا ويركن إليها وهي الغرارة الغوالة⁽⁵⁵⁾.

ويُشكِّل هذا التأكيد عدولاً ظاهراً واختلاًلاً واضحاً وخرقاً صريحاً لما يقتضيه ظاهر حال المتلقين، وهو عدولٌ حجاجيٌّ غرضه التحريك والاستثارة والتنبيه والتوبيخ، فما قام به الخطيب إنما هو مواجهة مبطنة لهم، نظير غفلتهم وركونهم، فلئن ظهروا بمظهر المؤمن المستيقن إلّا أنَّ دواخلهم تدلُّ على خلاف ما يظهرونه. إنَّ من المفيد للخطيب -كما يقول (بيرلمان)-⁽⁵⁶⁾ «أنَّ يُلحَّ طويلاً على بعض العناصر غير المريبة؛ لكي يخلق الحضور، فبتمديد الاهتمام الذي يؤلِّي لها يقوى حضورها في وعي المستمعين، فالتوسع في موضوع ما هو وحده الكفيل بخلق الانفعال المنشود»⁽⁵⁶⁾.

وتقودنا هذه المواجهة الأسلوبية المتوغلة إلى الاعتراف بالمفعول السحري للمخالفة، الذي قال به السكاكي، «ومفهوم (السحر) هذا له خطورة كمصطلح بلاغي، من حيث كونه موافقاً لمفارقة الواقع المباشر، أو بمعنى آخر: رافضاً لهذا الواقع، ومن ثم تقوم الصياغة على اعتباراتٍ إضافية جديدة، ولا يكون ذلك السحر إلا عند تفريغ المتلقي من حالاته الإدراكية الظاهرة، وشحنه بحالات طارئة لأهداف إقناعية محددة»⁽⁵⁷⁾.

الخاتمة:

إنَّ ما سلف من دراسة المخالفة في وضعياتها البلاغية الثلاث، يشهد بالدافع الحجاجي الكامن وراء كلِّ مخالفة للظاهر في مستوى التوكيد، كما يدلُّ على حيوية الخطبة العربية ودور الخطيب والمتلقي في إنتاج الحجاج وتشكيله، فما من خطيب عربيٍّ ناجح إلّا وهو ناظرٌ إلى متلقيه يصوغ خطابه بحسب أحوال المتلقي الظاهرة والباطنة. كما تشهد الدراسة على مدى اهتمام البلاغة العربية بدراسة الكلام مقروناً بمقامه، وبه يمكن القول بسبق البلاغيين العرب الأوائل إلى المقاربة التداولية قبل أن يعرفها المحدثون بمفهومها الشامل.

وإليه، فإنَّ الدراسة تقودنا إلى الاعتراف بمدى أهمية اللغة ودقتها في إخضاع الخصوم واستثارتهم، ذلك أنَّ زيادة أداة واحدة أو نقصها يُمكن أن يعود على القول بالعديد من المعاني الحجاجية المقصودة، كما تقودنا الدراسة إلى القول بأنَّ تباين الخطابات الحجاجية راجع إلى مدى خبرة المتكلم في الإقناع، ذلك أنَّ جميع صور المخالفة ليست سوى استجابات لنوازع قبول المتلقين أو رفضهم، ولن يُدرَك تلك النوازع الباطنة ويُقدَّرَها إلّا المحاجُّ البليغ المتمرِّس.

وإلى ما مضى فإنَّ هذا البحث يُلحَّ على ضرورة دراسة الجانب البلاغي للغة، ففي حين درس النحاة التوكيد بوصفه أداة إثبات وتحقيق، فإنَّه قد تبين أنَّ للبلاغيين مشرباً آخر في دراسة التوكيد، إنَّ في استعماله وإنَّ في التخلِّي عنه، فالأمر مختلفٌ تماماً من جهة القيمة والغرض وموضع الاستعمال.

الهوامش:

- ¹ ينظر: مفتاح العلوم، يوسف بن محمد السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور ، ط2، ص171 (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407هـ).
- ² ينظر: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، ط2، 51 (مكتبة وهبة، القاهرة، 1400هـ)
- ³ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص21 (عالم المعرفة، الكويت، 1992م).
- ⁴ البلاغة العربية: قراءة أخرى، محمد عبدالمطلب، ط2، ص207-208 (الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة، 2007م).
- ⁵ مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا، مجلة: جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام4، العدد32، ص76 (2017م).
- ⁶ ينظر: مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص170-174. والعدول التداولي عما يقتضيه الظاهر من الحال: وضعيات التخاطب أنموذجًا (دراسة في نمطيته ومقاصده في الخطاب القرآني)، عبدخالق رشيد، مجلة رفوف، العدد9، ص24 (مارس 2016م).
- ⁷ البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، ج1، ص185 (الدار الشامية ، بيروت ، 1416هـ).
- ⁸ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ط1، ج1 ، ص163 (المكتبة العلمية، بيروت، د.ت).
- ⁹ مدخل إلى قراءة النصوص الخطابية القديمة، صالح بن رمضان، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، مج5، ج20، ص157 (1996م).
- ¹⁰ شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: عبدالمعتز الصعيدي، ج1، ص48 (المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر، القاهرة، 1356هـ).
- ¹¹ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ط2، ص36 (دار المعرفة، بيروت، 1426هـ).
- ¹² جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج1، ص175.
- ¹³ ينظر: مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا، مرجع سابق، ص77.
- ¹⁴ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج1، ص242.
- ¹⁵ ينظر: شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ج1، ص48. وخصائص التراكيب: دراسة تحليلية لعلم المعاني، مرجع سابق، ص53، 54.
- ¹⁶ ينظر: مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا، مرجع سابق، ص76-77.
- ¹⁷ ينظر: مدخل إلى قراءة النصوص الخطابية القديمة، مرجع سابق، ص184-186.
- ¹⁸ رَجُلٌ سَبَطَ الْيَدَيْنِ، أَي سَخِيَّ سَمَحُ الْكَفَّيْنِ، ينظر: تاج العروس ، مادة: (س ب ط).
- ¹⁹ وَشَيْظَةٌ فِي قَوْمِهِمْ، أَي هُمْ حَشَوُ فِيمَ، ينظر: تاج العروس، مادة: (و ش ظ).

- ²⁰ يُقال للدليل على وجه التشبيه: هُوَ أَذَلُّ مِنْ فَفَعٍ بِقَرْقَرَةٍ، وَيُقَالُ أَيْضاً: هُوَ فَفَعٌ قَرْقَرٍ، لَأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى مَنْ اجْتَنَاهُ، أَوْ لَأَنَّهُ يُوطَأُ بِالْأَرْجَلِ، وَتَنْجُلُهُ الدَّوَابُّ بِقَوَائِمِهَا، يَنْظُرُ: تاج العروس، مادة: (ف ق ع).
- ²¹ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج 2، ص 173.
- ²² ينظر: خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لعلم المعاني، مرجع سابق، ص 55.
- ²³ مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجاً، مجلة: جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام 4، العدد 32، ص 76-77 (2017م).
- ²⁴ البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، مرجع سابق، ج 1، ص 183.
- ²⁵ العدول التداولي عما يقتضيه الظاهر من الحال: وضعيات التخاطب أنموذجاً (دراسة في نمطيته ومقاصده في الخطاب القرآني)، عبد الخالق رشيد، مجلة رفوف، العدد 9، ص 31 (مارس 2016م).
- ²⁶ خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مرجع سابق، ص 51.
- ²⁷ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج 1، ص 152.
- ²⁸ ينظر: مجازات لالنداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآني، مجلة معهد الإمام الشاطبية للدراسات القرآنية، ظافر العمري، المجلد 3، العدد 6، ص 181-190 (2008م). وأسلوب النداء في العربية: دراسة في تداولية الخطاب، أيمن محمود محمد إبراهيم، ضمن بحوث: الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث الأدبية واللغوي في الدراسات الحديثة، ص 353 (2014م).
- ²⁹ خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لعلم المعاني، مرجع سابق، ص 48.
- ³⁰ في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ط 1، ص 13 (مسكيلياني، تونس، 2011م).
- ³¹ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج 1، ص 203.
- ³² البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط 7، ج 1، ص 138 (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ).
- ³³ ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، ط 1، ص 240 (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1994م).
- ³⁴ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج 1، ص 203.
- ³⁵ جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 301.
- ³⁶ العدول بالمقال عن مقتضيات الظاهر من الحال في ضوء البيان القرآني: دراسة في نمطية مقاصده، رشيد عبد الخالق، مجلة: جذور، النادي الأدبية الثقافي بجدة، ج 36، ص 246 (2014م).
- ³⁷ ينظر: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص 244. وعلم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، برند شبلز، ترجمة: محمود جاد الرب، ط 1، ص 108-109 (الدار الفنية للنشر، 1987م).
- ³⁸ ينظر: نظرية الاتصال بين الأصالة والمعاصرة: دراسة بلاغية أسلوبية عند السكاكي، كوثر الشفيق أحمد، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، العدد 21، الجزء 1 (2020م).
- ³⁹ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، ط 2، ص 285 (دار الفارابي، بيروت، 2007م).
- ⁴⁰ البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، مرجع سابق، ج 1، ص 184.
- ⁴¹ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ج 1، ص 148.

- ⁴² مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص174.
- ⁴³ خفوق: غياب، تاج العروس، مادة: (خ ف ق).
- ⁴⁴ فليستقيد: فليقتص، تاج العروس، مادة: (ق و د).
- ⁴⁵ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص158.
- ⁴⁶ مبدأ التعاون عند غريس وتجليات حضوره عند السكاكي: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر نموذجًا، مجلة: جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام4، العدد32، ص77 (2017م).
- ⁴⁷ الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ط1، ص169 (دار الأمان، الرباط، 1426هـ).
- ⁴⁸ أنعش: تدارك ونهض وقوّى، ينظر: تاج العروس، مادة: (ن ع ش).
- ⁴⁹ الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنها تُحلب ثم تُترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثم تُحلب، ينظر: تاج العروس، مادة: (ف و ق).
- ⁵⁰ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص212.
- ⁵¹ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، ط1، ص239 (المركز الثقافي العربية، الدار البيضاء، 1998م).
- ⁵² ينظر: البلاغة، ميشيل مايير، ترجمة محمد أسيداه، ط1، ص75، 85 (دار الكتاب الجديد، بيروت، 2021م).
- والإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج، شايم بيرلمان، ترجمة: الحسين بنو هاشم، ط1، ص141-142 (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2022م).
- ⁵³ المُقْتَر: قليل المال، ينظر: تاج العروس، مادة: (ق ت ر).
- ⁵⁴ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص200.
- ⁵⁵ ينظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط3، ص326 (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1413هـ).
- ⁵⁶ الإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص109.
- ⁵⁷ البلاغة العربية: قراءة أخرى، مرجع سابق، ص208.